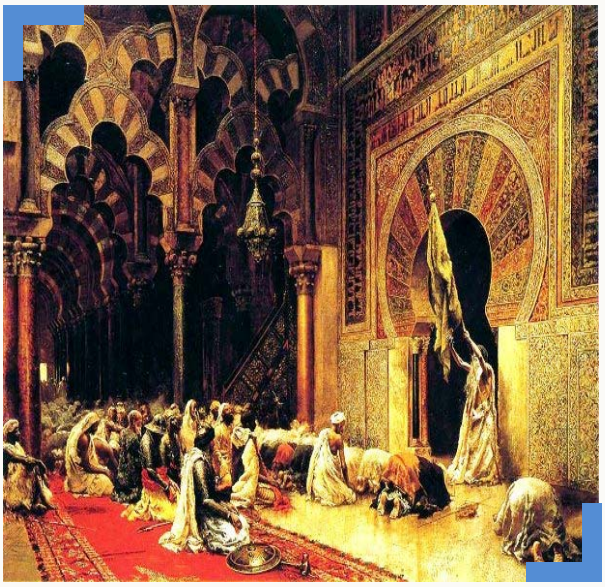

الثقافة الشعبية في الأنْدَلُس
رصد واقعي من خلال أعمال ابن حَيَّان القرطبي

د. أنور محمود زناتي

مدرس التاريخ الإسلامي
كلية التربية – جامعة عين شمس
القاهرة – جمهورية مصر العربية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أنور محمود زناتي، الثقافة الشعبية في الأنْدَلُس: رصد واقعي من خلال أعمال ابن حَيَّان القرطبي.- دورية كان التاريخية.- العدد الثامن عشر؛ ديسمبر ٢٠١٢. ص ٦١ – ٦٧.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

خمسة أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ – ٢٠١٢

ملخص

هذه الدراسة محاولة لرصد وتفنيد الكثير من القضايا الثقافية الشعبية والأدبية في الأندلس؛ من خلال رؤية مؤرخ معاصر وهو ابن حَيَّان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م) الذي كان على اطلاع وثيق بتاريخ الأندلس الإسلامية، واستعرضنا فيها عدة نقاط منها: رصده مرحلة المزج والانصهار بين العرقيات المتنوعة، ثم ظهور النزعة العنصرية في الأندلس، ولذا لم يغب عن ابن حَيَّان أيضًا أن يعبر عن تلك النزعة في الأندلس، كما رصد انحراف الحُجاب والوزراء، واستطاع أن يلقي الضوء حول طبيعة حياة الأمراء من خلال المعايشة.

مقدمة

كان المؤرخ ابن حَيَّان القرطبي[١] على اطلاع وثيق بتاريخ الأَنْدَلُس الإسْلامِية، وأهلته ثقافته الموسوعية لرصد ومناقشة وتفنيد الكثير من القضايا الثقافية الشعبية والأدبية في الأَنْدَلُس؛ فعلى الصعيد الاجتماعي شهد المجتمع الأَنْدَلُسي في ظل الخلافة والحِجابة مرحلة المزج والانصهار بين العرقيات المتنوعة ليحدث نوع من التجانس لم تشهده الأَنْدَلُس من قبل؛ إلا أن السخائم العرقية والإقليمية عادت مرة أخرى لتؤثر سلبيًا في هذا التجانس، ولتمزق وحدة الأَنْدَلُس من جديد[٢] بظهور النزعة العنصرية ؛ ولذا لم يغب عن ابن حَيَّان أيضًا أن يعبر عن تلك النزعة في الأَنْدَلُس في تلك الفترة وذلك من خلال حديثه عن اجتماع خازني بيت المال في عهد الأمير محمد، وهما "عبد الله بن عثمان بن بسيل، ومحمد بن وليد بن غانم" واستدعى الأمر أن يكتب ابن غانم كتابًا قدم نفسه فيه، فما كان من ابن بسيل إلا أن قام له :" والله لا أطبع كتابًا تتقدمني أنت فيه، وأنا شامي وأنت بلدي".[٣]

ويشير أيضًا إلى الفتنة بين اليمنية والمضرية فقال: "وكان ابتداء فتنة أهل الجزيرة وانبعاثها بالمعصية بين اليمانية والمضرية أن أطلق بعضهم على بعض الغارات واستحلوا الحرمات وتخلقوا بأخلاق الجاهلية، واتخذوا الحصون والمعاقل المنيعة فارتقوا اليها وأذلوا البسائط".[٤]

الثقافة الشعبية في الأَنْدَلُس

لقد تعددت مجالات المعرفة الاجتماعية والثقافية التي طرقها ابن حَيَّان عكست لنا ألوانًا من الحياة الأَنْدَلُسية الاجتماعية والثقافية، ويعتبر تاريخه الكبير أدق وثيقة مفصلة للحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس؛ فنراه يرصد العديد من الظواهر الاجتماعية عندما يصور شرائح المجتمع بما فيها من صور الوشاية، والذم والمكائد، وفساد القضاة "وقد انطبقت أرض الأَنْدَلُس نفاقاً واستعرت خلافًا ذلك بإغفال من كان قبله لحسم من كان ينجم من قرن النفاق حتى تفاقم الأمر بعد تطاوله، وتفاوت الشيء بعد قرب تداركه واستعجل شر عمر بن حفصون جرثومة النفاق وانتزى أكثر بلاد الأَنْدَلُس اقترانه.[٥]

ISSN: 2090 – 0449 دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية

ومن الأقوال التي ذكرها ابن حَيَّان، والدالة على وجود شهادات الزور فى الأَنْدَلُس، حديثه عن "محمد بن غالب" من أهل إستجة، كان قد طلب من الأمير عبد الله بناء حصن بقرية، شنت طرس"، وهدفه من ذلك حماية الطريق، ومنع المفسدين وقطاع الطرق من إلحاق الأذى بالمسلمين، وعندما تم بناء الحصن حسده، بنو خلدون وبنو الحجاج " وقامت الحرب بينهما، وادعى بنو حجاج على إثر هذه الحرب أن محمد بن غالب أغتال رجلاً من قرابتهم..... واستدعوا عليه الشهادات المزورة.[٦]

كما عكس الصراع الذي كان يدور بين الفقهاء والخليفة وكيف أن الخليفة كان يكره أن يكون القاضي قوياً، وهو ما صوره تحت عنوان " نوادر من أخبار قضاة الأمير عبد الرحمن"[٧]. ومن هذه النوادر أيضًا نستشف النفوذ القوي الذي كان يتمتع به الفقهاء في الدولة، والدليل على ذلك أن الأمير عبد الرحمن قلما يولي قاضياً إلا عن مشورة يَحْيَىَ بن يَحْيَىَ اللَّيْثِي[٨] وفي ذلك يقول ابن حَيَّان: "وغلب يَحْيَىَ بن يَحْيَىَ جميعهم على رأي الأمير عبد الرحمن، وألوى بإيثاره، فصار يلتزم من إعظامه وتكريمه وتنفيذ أموره ما يلتزم الوالد لأبيه، فلا يستقضي قاضيًا، ولا يعقد عقدًا، ولا يمضي في الديانة أمرًا، إلا عن رأيه وبعد مشورته".[٩] كما سجل مظاهر الاحتفال بالأعياد والمناسبات[١٠] وكيف كان الشعراء والخطباء في هذه الاحتفالات "تتناغى فيما ترتجل من خطبها وتنشد من أشعارها فتكثر وتجيد"،[١١] أما الاحتفال الرسمي من قِبَل الخلفاء بالأعياد فقد أطنب في وصفها ابن حَيَّان.[١٢]

ولم يغب عنه أن يعبر عن مظاهر البذخ التي كانت تتسم بها حفلات استقبال الحكام الأَنْدَلُسيين لمن يفد عليهم، ولذلك يقول عن يوم استقبال الخليفة الحكم المستنصر لجعفر بن على ومن معه إنه: "أحد الأيام العقم بقُرْطُبَة في اكتمال حسنة وجلالة قدره، خلد حديثه زمنًا في أهلها، قاضياً من عجب الجلالة، وكل شيئًا فإلى انقضاء إلا إله الأرض والسماء تعالى جده.[١٣]

ومن الصور الاجتماعية التي اهتم ابن حَيَّان بتسجيلها في تاريخه حفلات المجون والتبذير للأمراء والخلفاء والوزراء؛ منها على سبيل المثال حادثة احتفال المأمون بن ذي النون بإعذار حفيده يحيى، تلك الحادثة التي احتلت عددًا غير قليل من الصفحات،[١٤] يقول في الإعداد لها: "وأمر . المأمون . بالاستكثار من الطهاة والاتقاء للقدور، والإتراع للجفان، والصلة لأيام الطعام، والمشاكلة بين مقادير الأخباز والآدام، والإغراب في صنعة ألوانها، مع شياب أباريقها بالطيوب الزكية، والقران فيها بين الأضداد المخالفة ما بين حار وبارد، وحلو وحامض، والمماثلة بين رائق أشخاصها، وبين ما تودع فيها من نفائس صحافها..... ".[١٥]

وكان المدعوون إلى هذه الاحتفالات التي استمرت أيامًا أشتاتًا من الناس من صفوة وعامة, وقد لقي الجميع من الاحتفاء بهم والتكريم لذواتهم ما يمكن أن يشابه ترتيب إدارات المراسم والتشريفات بالقصور الملكية ووصف ابن حَيَّان طائفة القضاة على المائدة في غرفة أسرف وفى وصفها، فإذا انتهوا من الطعام يكمل الجانب التالي من رحلة الدعوة على هذا النحو: "ولما فرغت تلك الطائفة جيء بهم إلى المجلس المرسوم لوضوئهم، وقد فرش ايضا بوطاء الوشى الرقوم بالذهب، وعلقت فيه ستور مثقلة مماثلة..... ثم نقلوا إلى مجلس التطييب، أفخم تلك المجالس، وهو المجلس المطل على النهر، العالي البناء، السامى السناء، فشرع في تطييبهم في مجامر الفضة البديعة بفلق العود الهندي، المشوبة بقطع العنبر الفستقى، بعد أن نديت أعراض ثيابهم بشابيب الماء الورد الجورى، يصب فوق رؤوسهم من أواني الزجاج المجدود، وفياشات البلور المحفورة".[١٦]

والذي يعنينا من هذا النص أمور كثيرة، من أهمها الإسراف، والذي يتابع القصة بأكملها حسبما رواها بتفصيلاتها ومجالس القصف فيها وإنشاد الشعر في مناسبتها وما قد خلعه الأمير عليهم برغم تدنى أشعارهم، كل ذلك كان هدفا من أهداف أبى حيان في تعرية ملوك الطوائف الذين يقتلون المال والبشر، ويقاتل بعضهم بعضًا والعدو متربص بهم، متحفز على أبوابهم.[١٧]

وكشف ابن حَيَّان عن دور العنصر النسائي في بلاد الأَنْدَلُس، مثلما صور ما كانت تقوم به جارية الخليفة الناصر "مرجان"،[١٨] من حيل ضد السيدة فاطمة القرشية بنت أخي جده المنذر بن محمد الأمير، وكان الناصر يقول لجاريته مرجان هذه: "فاقتادينى إلى قصرك فإني طوع يمينك وحبيس هواك، وكان ذلك على إثر الحيلة التى دبرتها لصرفه عن ابنة عمه فاطمة القرشية، ويقول ابن حَيَّان عن هذه الجارية معتمدًا فى ذلك على ما قاله القبشى: فتقدمت لديه جميع نسوانه حتى كانت كرائمه وحظاياه لا يصلن إلى مطالبهن ورغباتهن من الناصر لدين الله إلا بشفاعة مرجان لهن، وتوسلهن بها لديه للطف منزلتها وغلبتها على قلبه.....[١٩]

وصور لنا مكانة الجواري في المجتمع الأَنْدَلُسي فيورد لنا قصة الجارية مرجان التي كانت من أحب الجواري إلى قلب الخليفة الناصر وأنجبت له ابنه الحكم، فكانت أثيرة الخليفة لا يسلو بدون رؤيتها ولا يكتم علها سرًا، وإذا مرض حُمِل إلى بيتها.[٢٠]

وقد أمدنا ابن حَيَّان بسيل من النصوص، على جانب كبير من الأهمية وتكشف النقاب عن الوضعية الاجتماعية لعدد كبير من فئات المجتمع الأَنْدَلُسي ومنهم على سبيل المثال: الفقهاء حيث أماط اللثام عن النفوذ الاجتماعي – والسياسي بالطبع – للفقهاء، وكيف كان الأمراء والخلفاء يخشون تقلب الفقهاء عليهم مثلما أورد فى ما نقله من كتاب الاحتفال ما يشير إلى أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم كان يكره تألب الفقهاء عليه..... ويقلق منهم ويسميهم سلسلة السوء".[٢١]

وابن حَيَّان لا يغفل أيضًا ذكر الآثار المترتبة على النواحي السياسية من إصابة المؤدبين وكساد الناحية التعليمية للصبيان والمؤدبين،[٢٢] هذا فضلاً عما تكشف عنه روايته من قتل المغنيين

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

والطنبوريين، وهذا يشير إلى ألوان البذخ واللهو في الأَنْدَلُس في "فترة الفتنة".[٢٣]

وما أكثر ما ترد في ثنايا تاريخ ابن حَيَّان ملاحظات وتعليقات نفذ بها إلى الكشف عن العيوب الدفينة في المجتمع الأَنْدَلُسي، هذه العيوب التي أدت شيئًا فشيئًا إلى تحللها وتصدعها، وكأنه السرطان الخفي يستشرى في باطن جسد ظاهره الصحة والقوة. وهى عيوب بدأت منذ أيام الحكم المستنصر، ثم استفحل داؤها على عهد الدولة العامرية. غير أن الأمجاد العسكرية والقوة الظاهرية كانت تلقى عليها حجابا كثيفا سترها عن الأنظار. لقد كانت الفتنة تجثم تحت هذه القشرة الظاهرة من القوة والعظمة، فلما تصدعت واجهة الدولة بعد وفاة المظفر بن المنصور بن أبى عامر إذا بهذا البنيان الشامخ ينهار في لحظات، وإذا ينيران الفتنة المبيرة[٢٤] تندلع معلنة بداية نهاية الإسلام في الأَنْدَلُس.[٢٥]

وقد زاد من اضطراب الأوضاع في الأَنْدَلُس - لاسيما قُرْطُبَة - اقتحام البَرْبَر[٢٦] لها،[٢٧] ونَشْر الدمار بها، ودفعت قُرْطُبَة ثمن مقاومتها أنهارًا من الدماء، وقتل الكثير من أهلها،[٢٨] ودخلت البلاد بعدها في سلسلة من الأحداث[٢٩] واضطربت الأوضاع، واستمرت النزاعات التي شارك فيها البَرْبَر والصقالبة[٣٠] وأهل قُرْطُبَة أنفسهم، الأمر الذي جعل ابن حَيَّان يكن للبربر كراهية شديدة تشيع على ظاهر صفحات تاريخه، فهو يندد بقسوتهم وحقدهم الدفين على الدولة الأَنْدَلُسية، ورغبتهم في نقض بناء الحضارة الأَنْدَلُسية منذ أول لحظة يتهيأ لهم فيها ذلك[٣١] وقد تتبع ابن حَيَّان تلك الأحداث وفى تفصيل دقيق.

وبينما كان البناء السياسي للأندلس يتصدع شيئًا فشيئًا أثناء فترة الصراع على الخلافة بين من ادعاها من أفراد البيت الأُمَوي ومن أعقبوهم من بني حَمّود،[٣٢] انهار البناء السياسي جملة، وضاعت الوحدة، وتفرق أمر الجماعة،[٣٣] وفي تلك الأثناء اجتمع شيوخ قُرْطُبَة والوزراء برئاسة أبي الحزم بن جَهْوَر، واتفقوا على خلع المُعْتَد بالله – آخر خلفاء بني أُمَيّة -، وإبطال رسم الخلافة جملة،[٣٤] ونودي في الأسواق والأرباض ؛ ألا يبقى بقُرْطُبَة أحد من بني أُمَيّة، وألا يكنفهم أحد من أهل المدينة، وانتهى بذلك أمر بني أُمَيّة في الأَنْدَلُس وزالت خلافتهم وانقطعت الدعوة لهم،[٣٥] وأثرت تلك الواقعة تأثيرًا بالغًا في فكر ابن حَيَّان، وجعلته يتابع مصير دويلات الطوائف، ويرصد العديد من الوقائع، وركز على انفراط وحدة الأَنْدَلُس وتفرق ملكها إلى دويلات طائفية،[٣٦] واقتسامهم ألقاب الخلافة؛ فوصفهم ابن حَيَّان بأنهم: "أُمراء الفرقة الهمل[٣٧] الذين هم ما بين فشل وَوَكَل".[٣٨]

وبعد انهيار وسقوط الخلافة حدثت الانتكاسة وعم الكساد الاقتصادي[٣٩] وتدهور العمران، وحفل العصر بالأزمات إلى حد المجاعة وأفل نجم قُرْطُبَة عمرانيًا وبشريًا، وصور ابن حَيَّان الوضع قائلاً: "... وطمست أعلام قصر الزهراء[٤٠]..... فطوى بخرابها بساط الدنيا وتغير حسنها، إذ كانت جنة الأرض، فعدا عليها قبل تمام المائة من كان أضعف قوة من فارة المسك، وأوهن بنية من بعوضة النمروذ، والله يسلط جنوده على من يشاء، له العزة والجبروت".[٤١]

وتحولت المدن التجارية المزدهرة إلى قلاع وحصون عسكرية[٤٢] الأمر الذي لقي تنديد ابن حَيَّان، ويشيع ذلك في صفحات كتابه "المتين" ومثال على ذلك ما أشار إليه في فطنة بالغة عن سوء الأحوال الاقتصادية نتيجة الوضع المتردي في بمدينة بَطَلْيَوْس[٤٣] نتيجة النزاع بين المعتضِد بن عَبَّاد والأَفْطَس؛ فقال: "بقيت بَطَلْيَوْس مدةً خالية الدكاكين والأسواق من استئصال القتل لأهلها في وقعة ابن عَبَّاد هذه بفتيان أغمارٍ إلا الشيوخ والكهول الذين أصيبوا يومئذ. فاستدللت بذلك على فشو المصيبة؛[٤٤] فتوقع برؤية ثاقبة عما سيحل بعد ذلك من كوارث اقتصادية.

ولجأ الملوك من أجل إرضاء نزواتهم وتحقيق لذاتهم إلى إثقال كاهل رعاياهم بالضرائب؛[٤٥] فانعكس ذلك الوضع على كتابات ابن حَيَّان فوصف ذلك الوضع المتردي في مرارة واضحة بقوله " فما أقول فى أرض فسد ملحها الذى هو المصلح لجميع أغذيتها ؟ هل هى إلا مشفية على بوارها واستئصالها ؟ ولقد طمى العجب من أفعال هؤلاء الأمراء...

أمور لو تدبرها حكيم إذن لنهى وهبب ما استطاعا[٤٦]

وقد كانت هناك طبقة الأُمراء والحكام وذوو الثراء وأصحاب الوظائف الكبرى، وكانوا يمتلكون ثروات طائلة تمثلت في الضياع الواسعة، والقصور الخاصة، وتفننوا في صنوف من البذخ؛[٤٧] فيصف ابن حَيَّان ثرء أبي الحزم ابن جهور قائلاً "تضاعفت ثراؤه، وصار لا تقع العين على أغنى منه"،[٤٨] وقام ابن حَيَّان بتقدير ثروة باديس بأنها تقدر بـ "خمسمائة ألف مثقال جعفرية،[٤٩] سوى فضة والآنية والحلية".[٥٠]

والناظر إلى روايات ابن حَيَّان يجد أن الغالب عليها تصويره مثالب الطبقة الحاكمة، ولم يغب عنه تصرفات الحكام وشغفهم بالبناء إلى حد الإسراف والبذخ ويتضح هذا . فيما نقله عن معاوية بن هشام . عند ذكره لقيام الأمير محمد بتحسين قصر الخلافة، فيقول: أنه بلغ من تحُسَينه إياه مبلغاً "تَوَفَّتْ به الكمال، واكتسبت الجمال، فشفيت به أدواء النفوس، وضرب بحسنها المثل".[٥١]

كما رصد ابن حَيَّان انحراف الحُجاب والوزراء، واستطاع أن يلقي الضوء حول طبيعة حياة الأمراء من خلال المعايشة، وقد أشار إلى ما أصاب أهل الأَنْدَلُس من نفاق وقلة وفاء وميل مع من يبقى في المنصب، كما لم يغب عنه أن يصور بعض تجاوزات الولاة وظلمهم. كما صور دور الجواري في بلاط حكام الأَنْدَلُس، وانتقد ما كان يقمن به من دسائس وهذه الرؤية النقدية ما كانت لتحدث لولا ظروف عصره التي دفعته إلى ذكر ما وصل إليه حال الأَنْدَلُس من انقسام وتفكك.[٥٢]

وكانت هناك طبقة أخرى تعاني ألوان العسف والتنكيل، ويطلق عليهم لقب العوام وهم الفئة المهمشة في التاريخ[٥٣] ولا يأتي ذكرهم في الغالب الا عند التأريخ للكوارث كالمجاعات والأوبئة، أو

دورية إلكترونية . مُحكّمة . ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

من خلال ذكر حركات المعارضة التي جري تهميشها بالمثل ودمغها بأبشع التهم والنعوت.[٥٤] وتتكون هذه الطبقة من الفلاحين في الريف والحرفيين والعمال في المدن[٥٥] وأغلبها من البَرْبَر أو المولدين،[٥٦] أو الموالي،[٥٧] وكان على هذه الطبقة أن تتحمل أعباء ضرائب باهظة كانت تُفرَض عليها وكانت تقوم بينهم وبين الدولة هوة سحيقة من سوء الظن وعدم الثقة.[٥٨] وكان لهذا التدني أثره على ابن حَيَّان في معارضته لهذه المظاهر في كتبه وتنديده بفاعليها،[٥٩] ويقول واصفًا أحد هؤلاء المغالين في جمع الضرائب: "ونعي إلينا فلان، وكان فظاً قاسياً ظنيناً جشعًا جبارًا مستكبرًا قليل الرحمة نزر الإسعاف زاهدًا في اصطناع المعروف، أحد الجبابرة القاسطين على الرعية، المجترين على رد أحكام الشريعة وكان مهلكه – زعموا – من طاعونة طلعت عليه ببعض أطرافه، فتجاسر على قطعها بفرط جهالته، فمات معذباً في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد.[٦٠]

كما تعرض ابن حَيَّان لرصد المجاعات والأوبئة؛[٦١] بل ويفسر سببها بدقة فيقول: "نالت أهل الأَنْدَلُس مجاعة شديدة...سنة سبع ومائتين، وكان سببها انتشار الجراد بالأرض ولحسه الغلات وتردده بالجهات، فنالت الناس مجاعة عظيمة"،[٦٢] وعند ذكره مجاعة سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م، أكد على أنه: "بلغ مُدى القمح في بعض الكُوَر ثلاثين دينارًا، واستسقى فيها أهل قُرْطُبَة مرارًا عدة،[٦٣] وتناول دور الأمير عبد الرحمن الأوسط ومحاولته التخفيف من آثار هذه المجاعة؛ فأمر بإقامة صلاة الاستسقاء في نفس العام.[٦٤]

وفي أحداث سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م يذكر: "القحط الذي عم الأَنْدَلُس فهلكت المواشي، واحترقت الكروم، وكثر الجراد، فزاد في المجاعة وضيق المعيشة"،[٦٥] ومن الكوارث التي رصدها بدقة الكارثة التي حدثت "في يوم الأربعاء لتسع خلون من رجب حيث هاجت ريح شديدة وتنزل غيث وابل، وقلعت الريح العاصف في هذا اليوم كثيرا من شجر الزيتون وملخت أغصانه وكسرت كثيرا من الشجر غيره، وكان هول الريح عظيما وتأثيرها سيئًا وجاد المطر وابلا منهملا تمادى انسكابه يومين".[٦٦]

كما ذكر القحط الذي عم لبلاد سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م فيقول: "وفيها أصاب الأَنْدَلُس مجاع شديدة أردفت الأعوام الجداعة[٦٧] التي توالت عليها في عقدة الخمسين".[٦٨] ورصد ابن حَيَّان مجاعة كبرى حدثت سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م نتيجة لاحتباس المطر، ونتج عنه كارثة مات خلالها عدد كبير من أهل الأَنْدَلُس، كما فر عدد آخر إلى بلاد المغرب، وكانت منطقة جيان من أكثر المناطق تضررًا بهذه المجاعة، حتى أنه أطلق على هذا العام "سنة جوع جيان".(٦٩)

وفي بداية عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر عم الأَنْدَلُس قحط شديد عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م، بسبب انقطاع المطر، وساءت حالة المزارعين، وشرح ابن حَيَّان تلك المجاعة وأكد على "غلاء الأسعار في جميع جهاتها".[٧٠] ويستمر ابن حَيَّان في رصد القحط والجفاف في العام التالي ٣٠٣ هـ / ٩١٥م؛ فيقول: "فيها كانت المجاعة بالأَنْدَلُس التي شهت بمجاعة سنة ستين؛ فاشتد الغلاء وبلغت الحاجة والفاقة بالناس مبلغاً لم يكن لهم عهد بمثلها، وبلغ قفيز[٧١] القمح بكيل سوق قُرْطُبَة ثلاثة دنانير دخل أربعين، ووقع الوباء في الناس، فكثر الموتان في أهل الفاقة والحاجة حتى عجز عن دفنهم".[٧٢]

واتخذ الناصر إجراء كان له أكبر الأثر في الحد من تفاقم الأزمة، فقد ضرب بشدة على أيدي المفسدين وقطاع الطرق وبعض الثائرين عليه، لأنهم كانوا يهاجمون قوافل تجار المسلمين الذين يجلبون المواد الغذائية من خارج الأَنْدَلُس لمواجهة هذه لمجاعة، ويعلق ابن حَيَّان على هذا الإجراء بقوله: "ونفع الله بذلك كله الكافة".[٧٣] ويتعرض لخبر توسيع المحجة العظمى بسوق قُرْطُبَة لضيقها عن مخترق الناس وازدحامهم فيها، وهد الحوانيت المتحيفة لعرضها، المضيقة لسبيلها، كما ينفسح الطريق ولا يضيق بالواردين والصادرين، نظرًا منه لكافة المسلمين واهتبالا بمصالحهم، فأتم ذلك على ما حد له".[٧٤]

كما رصد سوء الأحوال الاقتصادية المترتبة على المنازعات والحروب خاصة بين ملوك الطوائف؛ فنراه يصف ما حدث بمدينة بَطَلْيَوْس نتيجة النزاع بين المعتضِد العَبّادي والأَفْطَس بأنها "مصيبة"، حيث "خلت الدكاكين والأسواق".[٧٥] ويصف القسوة التي استخدمت في جمع الضرائب غير الشرعية بمدينة شاطبة[٧٦] بكل أنواع العنف حتى تساقطت الرعية ولم تصمد في وجه هذا الظلم".[٧٧]

أما الحالة الثقافية فالعجيب أنه وعلى النقيض من الوضع السياسي؛ لم تكن الثقافة الأَنْدَلُسية يومًا أشد إشعاعًا، وأقوى خصوبة كما كانت عليه في تلك الفترة ففي الغالب تكون الأزمة "تحديًا" يوجب "الاستجابة" – حسب مفهوم "أرنولد توينبي" -، وغالبًا ما تناط النخبة المفكرة بريادة الاستجابة على الصعيد المعرفي.[٧٨] وأشار ابن حَيَّان إلى عدد كبير من الرسائل التي تنتمي إلى النثر الفني وكان يطلق عليها الرسائل الإخوانية،[٧٩] كما ترجم للعديد من العلماء والأدباء، بأسلوب أدبي، حيث أنشأ رسائل في التهنئة والشكر والاستمناح والسياسة والهجاء وهي شكل من أشكال العمل الأدبي.[٨٠]

هذا وقد مجد الأَنْدَلُسيون العلماء والفقهاء ورجال الأدب، وكان لهؤلاء القيادة والريادة في المجتمع الأَنْدَلُسي أما العلماء فقل من تجده متبحرًا في علم واحد أو علمين؛ بل فيهم من يعد من الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والأدباء والمؤرخين واللغويين،[٨١] ولم يقتصروا على العلوم النظرية بل كانت لهم دراسات في علوم عملية[٨٢] كالفيزياء، وعلم العقاقير، والزراعة (علم الفلاحة) والذي أبدعوا فيه وصنفوا التصاميم المشهورة، مسجلين ما توصلت إليه تجاربهم في النباتات والتربة.[٨٣]

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

وقد ذكر ليفي بروفنسال[٨٤] أن نسبة عالية من أهل الأَنْدَلُس كانت تتكلم اللغتين العربية واللاتينية بالسهولة نفسها، وكان ابن حَيَّان من المؤرخين القلائل الذين ذكروا بعض الحوادث المرتبطة بتاريخ العلاقات بين الأَنْدَلُس الإسْلامِية والممالك المسيحية على سبيل المثال ذكره لعلاقة " غليان بن برناط" أحد قوامس مسيحيو الشمال مع الأمير عبد الرحمن الثاني،[٨٥] ولعلّ من مظاهر هذا الإطلاع المتعمّق إيراده وثائق في غاية الأهمية في التاريخ الأَنْدَلُسي، ويندر وجودها في مصادر أخرى، وتغطي مساحة مهمة من التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي لبلاد الأَنْدَلُس

خاتمة

مما سبق يتضح لنا صورة بانورامية للحياة الثقافية والاجتماعية والشعبية للأندلس من خلال رصد تاريخي موضوعي بقلم ابن حَيَّان القرطبي حامل لواء التاريخ في الأَنْدَلُس.

الهوامش:

(١) **ابن حَيَّان (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م)**: هو حيان بن خلف بن حُسَين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، كنيته أبو مروان، ذكرابن بَشْكُوَال فى كتابه الصلة أنه قرأ أسمه وولاءه هذا بخطه، ولد فى قُرْطُبَة سنة (٣٧٧ هـ . ٩٨٨م) وتوفى بها يوم الأحد ٢٨ ربيع الأول سنة ٤٦٩ هـ (٣٠ أكتوبر سنة ١٠٧٦م)، وما وصل إلينا من أخباره قليلاً لا يتناسب مع هذه المكانة العالية التى اعترف بها لابن حَيَّان أهل عصره، ولم يترجم لنفسه كما فعل بعض المؤرخين قبله وبعده. أنظر: في ابن حَيَّان وترجمته: ابن بَشْكُوَال، **الصلة**، ج١، ص ١٥٣، ترجمة رقم ٣٤٥، ابن بَسَّام، **الذخيرة** ٥٧٣/١، الحُمَيْدِي، **جذوة المقتبس** ٢٠٠ رقم ٣٩٧، الضَّبِّيّ، **بغية المتلمس** ٢٧٥ رقم ٦٧٩، الزركلي، **الأعلام**، ٣٢٨/٢، كحالة، **معجم المؤلفين**، ٨٨/٤. وقد كتب عنه ملشور انطونية رسالة بعنوان

Ibn Hayyan de Cordoba y sa Historia de la Espana musulmana

ضمن دفاتر إسبانيا، المجلد الرابع، بونس آيرس ١٩٤٦ ص ٥ – ٧٢؛ وغرسيه غومس بحث صغير عنه في مجلة الأَنْدَلُس (المجلد ١١، ١٩٤٦).

(٢) محمود إسماعيل: **الفكر التاريخي في الغرب الإسْلامي**، ط١، منشورات الزمن، المغرب ٢٠٠٨ م، ص ٧٠.

(٣) ابن حَيَّان: **المقتبس** (تحقيق محمود علي مكي، الشطر الثاني)، ص ١٣٧.

(٤) ابن حَيَّان : **المقتبس** (تحقيق أنطونية)، ص ٥٢.

(٥) ابن حَيَّان : **المقتبس** (انطونيا)، ص ١٠٤.

(٦) ابن حَيَّان : **المقتبس** (انطونيا)، ص ٧٠.

(٧) **المقتبس** (تحقيق مكي، الشطر الأول)، ص ٤٩.

(٨) **يحي بن يحي اللَّيثي** : هو أبو محمد يحي بن يحي بن كثير بن وسلاس المصمودي الأصل، الليثي الولاء رحل إلى المشرق، فسمع من الإمام مالك موطأه وتفقه به، ولما عاد إلى الأَنْدَلُس تصدى لنشر المذهب المالكي فعلا صيته واشتهر ذكره، راجع، **المقتبس** (تحقيق مكي) لجنة احياء التراث الإسْلامي، القاهرة، ص ١٨٠، **تاريخ علماء الأَنْدَلُس**، ج٢، ص ٨٩٨ – ٩٠٠.

(٩) المقتبس (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص ٤٢ - ٤٣.

(١٠) للمزيد راجع، ابن حَيَّان: **المقتبس**: (تحقيق الحجي)، ص ٢٨، ٥٩، ٨١، ٩٣، ١١٩، ١٣٦، ١٥٥، ١٨٤، ٢٢٩.

(١١) نفسه، ص ٣١.

(١٢) نفسه، ص ٦٠، ٦١، ٩٤، ١٨٤.

(١٣) نفسه، ص ٥٧.

(١٤) ابن بَسَّام: **الذخيرة**: (تحقيق البدري) ج ٤، ص ٨١ وما يليها.

(١٥) الذخيرة: (تحقيق البدري) ج ٤، ص ٨١.

(١٦) الذخيرة: (تحقيق البدري)، ج ٤، ص ٨٣.

(١٧) الشكعة: **المغرب والأَنْدَلُس**، آفاق إسلامية وحضارة إنسانية، ط١، دار العلم للملايين ١٩٨٧، ص ٣٧٧.

(١٨) إسبانية الأصل، وهي أم الحكم المستنصر بالله.

(١٩) ابن حَيَّان: **المقتبس** (تحقيق شالميتا)، ص٧ - ١٣.

(٢٠) نفسه، ص ١٣٣.

(٢١) ابن حَيَّان: **المقتبس**: (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص٦٧.

(٢٢) ابن بَسَّام: **الذخيرة**: (تحقيق البدري)، ج١، ص ٢٦، نقلاً عن ابن حَيَّان.

(٢٣) نفسه، ج ١، ص ٢٦، نقلاً عن ابن حَيَّان.

(٢٤) المبيرة: المهلكة.

(٢٥) محمود مكي: **مقدمة نشرته لجزء من المقتبس**. السفر الثاني، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣م، ص ١١٣.

دورية إلكترونية .محكمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

(٢٦) يقصد بالبَرْبَر الجماعات التي أقامت منذ أحقاب بعيدة في الشمال الأفريقي من برقة شرقًا حتى المحيط الأطلسي غربًا، ويرى الحسن الوزان أن الكلمة مشتقة من الفعل العربي بربر أي همس، أو أنها مشتقة من الأصل الموطن الذي سكنه البَرْبَر وهي صحراء بر، وينسب السلاوى كلمة بربر إلى بر بن قيس بينما، ويرجع ابن خلدون الكلمة إلى كثرة بربرتهم، والبَرْبَرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة ويرجعهم البعض الآخر إلى لفظ بربروس وتعني الرافضة للحضارة الرومانية. وقد عاش البَرْبَر على شكل جماعات وبعضهم عاش داخل المدن واختلطوا بمن احتل البلاد كالرومان والوندال وغيرهم والغالبية عاشت على شكل قبائل وجماعات واتخذت من سهول وجبال المنطقة موطنا وسكنًا، راجع، الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي وآخرون، الرباط، لدور النشر المتحدة، ج١، ١٩٨٠، ص ٣٠. **الموسوعة الإسْلامِية العامة**، المجلس الأعلى للشئون الإسْلامِية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٧٥.

(٢٧) في ٢٦ شوال ٤٠٣هـ/ ٩ مايو ١٠١٣م.

(٢٨) فقد قُتِل سعيد بن منذر، خطيب المسجد الجامع منذ أيام الحكم المستنصر(٣٥٠ – ٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦ م)، وقتل ابن الفَرَضِى صاحب تاريخ علماء الأَنْدَلُس، راجع الطاهر أحمد مكي: **دراسات عن ابن حزم**. ط ٤، دار المعارف ١٩٩٣، ص ١٠٣. وأيضًا:

Joseph Mccabe : ***The Splendour of Moorish Spain***, London 1953. P. 121.

(٢٩) حيث توالى على الحُكم خلال تسع سنوات ثلاثة من بني حمود، هم الناصر والقاسم والمعتلي، وثلاثة من بني أمية، هم المرتضى والمستظهر والمُسْتَكْفي.

(٣٠) كان الجغرافيون العرب يطلقون هذه التسمية على سكان البلاد المتاخمة لبحر الخرز بين القسطنطنية وبلاد البلغار ثم اكتسب اللفظ مدلولا خاصا في أسبانيا الإسْلامِية فصار يطلق أولا على أسرى الحرب الذين كانوا يقعون في أيدي الجرمان ويباعون للمسلمين في شبه الجزيرة وكان لفظ الصقلبي ينسحب في عصر الرحالة ابن حوقل في القرن العاشر على الرقيق الذين من أصل أجنبي سواء في ذلك من كانوا من بلاد أوروبا أو من أسبانيا ذاتها وكانوا ينخرطون في سلك الجندية أو يتخذون لخدمة الحرم في القصور فقد كانوا يخصونهم وكان لتجار اليهود على خد تعبير المستشرق الهولندي دوزي معامل للخصى أهمها معمل فردن في فرنسا فكانوا بعد خصيهم يجلبون إلى الأَنْدَلُس ويباعون فيها وينشئون تنشئه خاصة فيتعلمون العربية وفنون الفروسية ويتأدبون بآداب المجتمع الأَنْدَلُسي. وازداد عددهم زيادة كبيرة بحيث بلغوا في عهد الناصر لدين الله بقُرْطُبَة ١٣٧٥٠ وفكت رقاب كثير منهم و سمعت منزلهم في المجتمع فأثروا وملكوا الأراضي واتخذوا الحشم والعبيد. ونبغت طائفة منهم في العلم والأدب فكان منهم الشعراء والكتاب. وعظم شأنهم في أيام الناصر فتولوا المناصب الهامة وقيادة الجيوش ولم يتردد الناصر في أن يعهد إلى نجدة الصقلبي بقيادة الجيش الذي وجهه الى ملك ليون في سنة ٣٢٧. واستكثر منهم الحكم المستنصر فاشتدت شوكتهم وكان لفائق وجُؤذُر دور هام في عهده وفي عهد ابنه هشام. راجع، ياقوت: **معجم البلدان** مادة (صقالبة)، المقرى: **نفح الطيب** ١/ ٨٨، ٩٢، ٢/ ٥٧، تكملة الصلة ابن الأَبَّار طبعة كوديرا رقم ٨٩.

(٣١) محمود مكي: **مقدمة تحقيق المقتبس**، الشطر الثاني، ص ١١٤.

(٣٢) **بنو حمّود**: من ملوك الطوائف في الأَنْدَلُس، وقد سُمِّيت على اسم مؤسسها حمّود، من نسل إدريس بن عبد الله، أي أنهم من الأدارسة. بيد أنه بالرغم من هذه النسبة العلوية، إلا أنهم كانوا ينتمون في الواقع من حيث النشأة والعصبية والمصير، إلى البَرْبَر، وتوالى على الحُكم خلال تسع سنوات ثلاثة من بني حمود، هم الناصر والقاسم والمعتلي، وثلاثة من بني أمية، هم المرتضى والمستظهر والمُسْتَكْفي، وتداخلت ولايات هؤلاء الخلفاء، راجع، ابن بَسَّام، تحقيق سالم البدري، ج ١، ص ٦٠، نقلاً عن ابن حَيَّان، ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، دار المعارف، ص ٤٣ – ٤٤، الحميدي: **جذوة المقتبس**، ص ٢٢، ابن عذاري: **البيان**، ج٣ ، ص ١٢٢، عنان: **دولة الإسلام**، جـ ٢، ص٦٥٧.

(٣٣) حُسَين مؤنس: **شيوخ العصر في الأَنْدَلُس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م، ص ٨٠.

(٣٤) راجع، الحُمَيْدي: **الجذوة**، ص ٢٨، والضَّبِّيّ: **بغية**، ص ٣٤، ابن عذاري: **البيان**، ج٣، ص ١٤٦، ابن الخطيب: **أعمال**، ص ١٣٨.

(٣٥) السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأَنْدَلُس**، مؤسسة شباب الجامعة، ص٣٦٣.

(٣٦) ونوجز المسألة فيما يلي: قُرْطُبَة: يحكمها بنو جَهْوَر (٤٢٣ هـ - ٤٦٠ هـ)، إشبِيلِيّة: بنو عباد (٤١٤ – ٤٨٤ هـ)، غَرْناطة: بنو زِيري (٤٠٣ – ٤٨٣ هـ)، طُلَيطِلَةُ: بنو ذي النون (٤٢٧ – ٤٨٧ هـ)، بَلَنْسِية: العامريون، (٤١٢ – ٤٧٨ هـ)، سَرَقُسْطة: بنو هود (٤١٠ – ٥٢٦ هـ).

(٣٧) **الهمل**: المتكاسلون المتوانون، راجع هامش **الذخيرة**: (تحقيق البدري) ج ٣، ص ١١٧.

(٣٨) ابن بَسَّام: **الذخيرة**: (تحقيق البدري) ج ٣، ص ١١٧.

(39) Miguel Asin Palacios: "***Un códice inexplorado del cordobés Ibn Hazm***". Al-Andalus, 1934, 1, p, vol. 2 (1934) p. 40.

(٤٠) **الزهراء Medina Zahra**: ممدود تأنيث الأزهر وهو الأبيض المشرق والمؤنثة زهراءُ والأزهر النير ومنه سمي القمر الأزهر، تقع شمال غرب مدينة قُرْطُبَة، وعلى بعد حوالي ستة أميال، وقد شرع الخليفة عبد الرحمن الناصر في بنائها في شهر المحرم سنة ٣٢٥ هـ؛ حيث عهد إلى ابنه الحكم بالإشراف على البناء، وقد استمر البناء إلى عهد الحكم، لكن الزهراء لم تعمر طويلاً؛ حيث إنه لما تغلب المنصور ابن أبي عامر على السلطة نقل قاعدة الحكم منها إلى الزاهرة وقد قام البَرْبَر بتخريبها أثناء الفتنة البَرْبَرية. (ابن غالب: **فرحة الأنفس**، ص٣١ . ٣٤، الحِمْيَري: **الروض المعطار**، ص ٢٨ . ٣٢، المقري: **نفح الطيب**، ج٢ ص٦٥ . ٦٧، السيد عبدالعزيز سالم: **تاريخ المسلمين**، ص ٤٠٧ . ٤١١).

(٤١) ابن بَسَّام: **الذخيرة**: (تحقيق البدري) ج ١، ص ٢٧٢.

(٤٢) أحمد بدر: **تاريخ الأَنْدَلُس في القرن الرابع الهجري**، دمشق: [د.ن]، ٤٧٩١ م، ص ٢٤٢.

(٤٣) **بَطَلْيَوْس Badajoz**: بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة ومهملة، مدينة أندلسية من إقليم مارِدَة، بينهما أربعون ميلاً، بناها الأمير عبد الله على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقي وهي تقع غربي قُرْطُبَة، راجع، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**: ج١، ص ٤٤٧، أبو بكر الزهري: **كتاب الجغرافية**، ص ٨٨. **بَطَلْيَوْس: (Bada luz)** تقع على نهر وادي يانه شمال شرق مدينة إشبِيلِيّة على بعد ١٨٥ ميلاً، بنيت على يد الثائر عبد الرحمن بن مروان الجليقي سنة ٢٦١ هـ (البكري: **المسالك والممالك** ج٢ ص٩٠٦، ياقوت: **معجم**، ج١، ص ٤٤٧)، سحر عبدالعزيز سالم: **تاريخ بَطَلْيَوْس الإسْلامِية**، ج١، ص ١٣٧ . ١٤٠.

(٤٤) ابن بَسَّام: **الذخيرة**: (تحقيق سالم البدري)، ج١، ص ٢٣٩، نقلاً عن ابن حَيَّان.

(٤٥) ابن عذاري: **البيان المُغْرِب**: ج٣، ص ١٦٢، الذخيرة: (تحقيق البدري) ج ٣، ص ٩.

(٤٦) ابن بَسَّام: **الذخيرة**: (تحقيق البدري) ج ٣، ص ١١٧.

(٤٧) عادل يحي عبد المنعم: **النقد الاجتماعي عند المؤرخين والكتاب الأَنْدَلُسيين**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ص ٧٩.

(٤٨) ابن بَسَّام: **الذخيرة**: (تحقيق البدري) ج ١، ص ٣٧٤.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

(٤٩) **المثقال الجعفرية**: يعرف جارثيا جومز المثقال الجعفري بأنها نقود نقش عليها اسم أبو جعفر بن سليمان بن هود المقتدر، ملك سرقسطة، للمزيد راجع، محمد الشريف: **المغرب والأَنْدَلُس**، دراسات في التاريخ والأركيولوجية، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، ط١، ٢٠٠٦ م، ص ٥٤.

(٥٠) ابن بَسَّام: **الذخيرة**: (تحقيق البدري) ج ١، ص ٤١٤.

(٥١) ابن حَيَّان: **المقتبس** (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص ٢٢٧.

(٥٢) راجع، عادل عبد المنعم: **النقد الاجتماعي** مرجع سابق، ص ٩٥.

(٥٣) لمزيد من التفاصيل، راجع، محمود إسماعيل: **المهمشون في التاريخ الإسْلامي**، دار رؤية، ٢٠٠٤.

(٥٤) نفسه، ص ١٤.

(٥٥) نفسه، ص ٥٣.

(٥٦) أطلق على من أسلم من أهل الأَنْدَلُس لحظة الفتح اسم "المسالمة"، وعلى أبنائهم اسم "المولّدون" الطاهر مكي: **دراسات عن ابن حزم**، مرجع سابق، ص ١٦.

(٥٧) **الموالي في الأَنْدَلُس**: هي طبقة تتألف غالبيتها من العبيد الذين أعتقهم مالكوهم أثناء حياتهم أو بعد موتهم بموجب وصية، ويسمي الشخص المحرر مولى، وكان يظل مرتبطًا بمالكه القديم أو بورثته بما يشبه الرباط العائلي الذي يلزمه بواجبات معينة نظير استفادته بالحماية المعنوية أما الاصطناع فقد كان يوجد في المجتمع الأَنْدَلُسي، أنظر، ليفي بروفنسال: **اسبانيا الإسْلامِية**، ج١ ص ١٨٨.

(٥٨) راجع، عز الدين أحمد: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسْلامي**، دار الشروق، ط١، ١٩٨٣م.

(٥٩) ابن بَسَّام: **الذخيرة**: (تحقيق البدري) ج ٤، ص ١٤٦.

(٦٠) ابن بَسَّام: **الذخيرة**: (تحقيق البدري) ج ١، ص ٣٦٦، نقلاً عن ابن حَيَّان.

(٦١) راجع على سبيل المثال، **المقتبس** (السفر الثاني، تحقيق مكي)، ص ٩١.

(٦٢) **المقتبس** (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص ٩٣.

(٦٣) **المقتبس**: (تحقيق مكي، الشطر الأول)، ص ٤١٢ - ٤١٤.

(٦٤) **المقتبس**: (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص ٩٣.

(٦٥) **المقتبس**: (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص ١.

(٦٦) **المقتبس**: (تحقيق الحجي)، ص ١٥٤.

(٦٧) **الجداعة**: من الجداع وهي السنة الشديدة التي تؤخر النبات فلا ينمو، راجع، ابن منظور: **لسان العرب**، مادة جدع.

(٦٨) **المقتبس**: (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص ٣٤٣.

(٦٩) **المقتبس**: (تحقيق العربي)، ص ٣٤٣.

(٧٠) **المقتبس**: (تحقيق شالميتا)، ص ١٠٣.

(٧١) **القفيز**: مقياس يساوي عشر قصبات مربعة والملاحظ أن القفيز يعتبر كذلك من الأوزان ووزنه ثمانية أرطال واستخدم أيضا للدلالة على مكيال عرف في "السواد" قبل الإسلام باسم: "الشابرقان" وعندما مسح عمر بن الخطاب "السواد" فرض على كل "جريب" قفيزا ودرهما، انظر الرازى/ **مختار الصحاح**/ الكويت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م – ص. ٥٤٦.

(٧٢) **المقتبس**: (تحقيق شالميتا)، ص ١٠٩.

(٧٣) المصدر والصفحة نفسهما.

(٧٤) **المقتبس** (تحقيق الحجي)، ص ٧١.

(٧٥) **الذخيرة**: (تحقيق البدري)، ج ١، ص ٢٣٩، نقلاً عن ابن حَيَّان.

(٧٦) **شَاطِبَةُ Jativa**: مدينة في شرقي الأَنْدَلُس تقع في مقاطعة بَلَنْسِية وفي حوض نهر البيضاء شرقي إسبانيا. أسسها الإيبريون وعرفت المدينة في الفترة الإسْلامِية ازدهارا كبيرا وعُرفت في جميع أوروبا كمهد صناعة الورق راجع: (ابو الفدا: **تقويم البلدان**، تحقيق ماك كوكين دي سلان، باريس، ص ١٦٨، العذري **ترصيع الأخبار**، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد، ١٩٦٥ م، ص ٢٠).

(٧٧) راجع، ابن عذاري: **البيان المُغْرِب**، مرجع سابق، ج٣، ص ١٦٠، نقلا عن ابن حَيَّان.

(٧٨) راجع، محمود اسماعيل: **إشكالية المنهج في دراسة التراث**. رؤية للنشر والتوزيع، ط١،القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٣٩.

(٧٩) **الرسائل الإخوانية**: وهي التي يكتبها الأدباء عامة من غير العاملين في دواوين الدولة، وهي غير محددة بموضوعات معينة، وإنما يكتبها الأدباء في مناسبات خاصة أو مطارحات أدبية ومساجلات بلاغية فيما بينهم. وهناك الرسائل الديوانية: وهي التي تكتب في شئون الدولة، وتسجل الأحداث التاريخية أو الأوامر والتوجيهات الرسمية إلى الولاة والأمراء والقواد وكبار الموظفين في الدولة. (راجع، مصطفى الشكعة: **الأدب في موكب الحضارة الإسْلامِية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

(٨٠) مصطفى الشكعة: **المغرب والأَنْدَلُس**، مرجع سابق، ص ٣٥٧.

(٨١) مصطفى صادق الرافعي: **تاريخ آداب العرب**. ج٣، مطبعة الاستقامة، ط١، ١٩٤٠، ص ٣٣١.

(٨٢) مصطفى الشكعة: **الأدب الأَنْدَلُسي**، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٣، ص ٧١.

(٨٣) راجع، ابن بَصَّال: **كتاب الفلاحة**، ص١١- ٣٦.

(٨٤) ليفي بروفنسال: **الحضارة العربية في إسبانيا** (ترجمة الطاهر أحمد مكي)، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١١٢.

(٨٥) راجع ابن حَيَّان: **المقتبس** (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص ٢ وما بعدها.

دورية إلكترونية .محكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449